الاصلاح الديني (*

﴿ المقترح على مقام الخلافة الاسلامية ﴾

تكلمنا في العدد الماضي على أهم أركان الاصلاح الاسلامي وهو التوحيد في العقائد والتعاليم الأدبية والاحكام القضائية والمدنية واللغة وقلنا إن هذا الاصلاح يتوقف على تأليف جمعية إسلامية على الوجه الذي ذكرناه وانما التوقف بالنسبة لكمال الاصلاح وسرعة انجازه وتعميمه حتى في الاحكام وفي جميع الشعوب الاسلامية كما هو ظاهر لا بالنسبة لأصل الاصلاح وان كان بطيء السير وغير شامل لجميع الفروع وقد وعدنا بان نذكر بعد التواحيد الثلاثة أهم ما يناط بالجمعية وشعبها من الاعمال (وهي ثلاثة) وأهم نتائجها وانجازا للموعد نقول

العمل الاول تلافي البدع والتعاليم الفاسدة قبل انتشارها

لو تنبه الخلفاء لهذا العمل من القرون الأولى وهو أهم وظائف الخلافة لما انتشرت التعاليم الباطلة التي زعزعت العقائد وأفسدت الآداب ولبست المسلمين شيعا وأذاقت بعضهم بأس بعض ولا تزال هذه التعاليم تنجم كقرون المعز فتزيد الامة تفريقاً فان المذاهب التي حدثت في هذا القرن من فروع الباطنية قد انتشرت بسرعة غريبة استلفتت أنظار الامم المتيقظة وان عمي عنها الذين لا يبصرون ، وصم عنها الذين هم عن السمع معزولون ، لاعتقادهم ان التربية والتعليم لا يفيدان وانه لا يؤثر في الامة إلا الملوك والحكام . وان تعاليم أخرى باطلة تنشر بين المسلمين آنا بعد آن منها ما يزعزع العقائد ومنها ما يفسد الآداب ويجري على استباحة المحظورات وتلقاها العامة — وأكثر الناس عامة لا علم لهم بالدين — بالقبول ويكون لها أقبح الاثر في أعمالهم وأخلاقهم

---

*) فاتحة المجلد ٤ الذي صدر في ١٠ شعبان سنة ١٣١٦ — ٢٤ دسمبر سنة ١٨٩٨

أذكر منها الآن شيئا واحد اطلعني عليه من عهد قريب بعض الاخوان المتنبهين وهو دعاء طبعه « عبد اللطيف القباج » المقيم في مصر ووزعه مجانا ليعم نشره وسماه « دعاء سيدي عبد الله ابن سلطان » صدره واضعه بحديث مكذوب على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ملخصه ان رجلا من الصحابة اسمه محمد بن سلطان « كان يفعل القبيح ويشرب الخمور ويداوم على الفسوق والفجور وكان لا يصلي ولا يصوم ولا يتصدق ولا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر » إلا أنه كان يقرأ استغفارا في أول شهر رجب فلما حضرته الوفاة نزل جبريل على النبي يبلغه أمر الله بحضور وفاته وتجهيزه ففعل ووجد الملائكة والحور العين قد اجتمعوا صفوفا لا يحصي عددهم إلا الله يحضرون جنازته . . . . ولما وقف النبي عليه السلام على سبب ذلك من زوجته وانه الاستغفار الذي ذكر آنفا أمر عليا كرم الله وجهه بكتابته وقال « من قرأ هذا الاستغفار أو جعله في داره أو متاعه أو حمله معه في سفره جعل الله له ثواب ثمانين ألف ملك وثواب ثمانين ألف صديق وثمانين ألف شهيد وثمانين ألف كذا وكذا . . . ومن قرأ هذا الاستغفار في عمره مرة واحدة غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر وليس عليه حساب ولا عقاب وبني له ألف قصر في الجنة في كل قصر ثمانون ألف حجرة في كل حجرة ثمانون ألف سرير على كل سرير حورية من الحور العين وشجرة تظلها وفيها ثمانين ألف ورقة كل ورقة مثل الدنيا ومن قرأ هذا الاستغفار في عمره مرة واحدة فان الله تعالى يعطيه ثواب أهل مكة والمدينة وبيت المقدس وان مات أمر الله سبعين ألف ملك يشيعون جنازته . . . . . واذا قام من قبره يوم القيامة يضيء وجهه مثل القمر فيقول الخلائق هذا نبي مرسل أو ملك مقرب فيقول جبريل لا ورب الكعبة لا نبي ولا ملك بل هو عبد من بني آدم أكرمه الله بقراءة هذا الاستغفار ثم يأتي الجنة فيدخلها بغير حساب ولا عقاب » ثم يذكر له فوائد دنيوية ويختم الكلام بقوله « ومن شك في ذلك فقد كفر » يعني من شك في هذا الحديث الموضوع لهدم الدين وإبطاله بالمرة واباحة جميع المحرمات فهو كافر وبعبارة أخرى من شك في الكفر الحقيقي وهو ماذكرناه من فوائد الاستغفار فهو كافر في عرفه واصطلاحه (نعوذ بالله)

ما الذي أثار هذه الاوصاف في ذهن واضع هذه الفرية وما الذي أغواه حتى وضع هذه الاضاولة ؟ آثارها في خاطره موضوعات أخرى من قبيلها تلقى بعضها من الدفاتر و بعضها من خطباء المنابر وأقربها إلى فتنته ما يسمونه « دعاء عكاشة » وهو مطبوع تتداوله الأيدي وتقرأه الألسن ويتخذه الناس عوذة « حجاباً » للحفظ من الشياطين ومن الامراض وهو أكذوبة موضوعة كذبها على النبي عليه السلام بعض الدجالين المضلين كواضع هذا الاستغفار

وأخف من ذلك في الاضلال والاغواء ومثله في الكذب على سيد الانبياء ما نسمعه من خطباء الجهل والفتنة من الغلو في مدح الشهور وبيان فضائلها ومنها أحاديث كثيرة في صوم رجب ومنها الحديث المشهور عند الخطباء في فضل رمضان وهو « إن الله يعتق في كل ليلة من رمضان ستمائة ألف عتيق من النار فاذا كان آخر ليلة منه أعتق بقدر مامضى » ويروى بغير هذه الالفاظ وهو موضوع لا أصل له

ومما يحسن التنبيه عليه هنا كيلا يغتر به الجهلاء ان جريدة طرابلس التي تدعي خدمة الدين قد أولت هذا الحديث بما حسب صاحبها انه يقرب به من الافهام « وما هدم الاديان إلا تأويل الأباطيل » لانه مع كذب روايته بعيد عن التعقل وفي تأويله غش للعامة بتصديقه والاغترار بوعده الذي يستلزم عتق جميع أفراد الامة من النار وعدم مؤاخذة أحد منهم بذنب فيما يتبادر إلى الاذهان ونعوذ بالله من الخذلان « وسنوفي هذه المسائل حقها من البحث في مواضعها ان أمهل الزمان ووفق الرحمن »

تراقب الجمعية بواسطة أفراد شعبها جميع المطبوعات كما تراقب دعاة الفتنة وكلما وقفت على شيء من البدع والأباطيل تنبه عليه في جرائدها وتوعز الى الخطباء والمدرسين بالتنبيه عليه والتحذير منه و بذلك يقف تياره و يمتنع انتشاره

العمل الثاني اصلاح الخطابة

الخطابة ركن من أركان العبادة في الديانة الاسلامية . ومن وقف على ماثلها من الاثر الحميد في الأمم المتمدنة وما لها من الشأن في جمع كلمتهم وتأليف قلوبهم

وتنشيطهم الى العمل في إسعاد أمتهم ووطنهم فقد سر جعلها من أركان العبادة المشروط فيها الاجتماع . وقد مات روح الخطابة في المسلمين وصار هذا الركن رسما ماثلا بل يكاد يكون دارسا بل صارت الخطابة وظيفة يقصد بها التعيش فتناط بالجهال وتنال بالوراثة مع أنها وظيفة الامام الاعظم أو نائبه وانما كانت كذلك لأن من شأن هؤلاء أن يكونوا عارفين بمصالح الامة واقفين على سائر شؤونها وأصحاب الكلمة المسموعة والسلطة النافذة فيها . ولا سعة في هذا المقام لتوفية هذا الموضوع حقه فنؤجله لفرصة أخرى ونكتفي بالاشارة الى عمل الجمعية فيه وهو أمران أولهما تأليف خطب في مصالح الامة تطبع وتوزع على الخطباء الذين لا يحسنون الخطابة بأنفسهم وهم الأكثرون ويأمر الخليفة بأن يخطب بها دون سواها الى أن يوجد خطباء حقيقيون والاولى أن تجدد هذه الخطب كل عام . والثاني تعيين الطريق لتحصيل ملكة الخطابة ليسلكه كل مرشح لها فيكون خطيبا مصقعا طبعا لا تكلفا ولا يوجه الامام هذا المنصب على أحد الا بعد اختياره من شعبة الجمعية التي في بلاده بأن تقترح عليه أن يخطب في مواضيع مختلفة على البداهة والشهادة له بالاجادة

العمل الثالث الدعوة الى الدين

نعني بالدعوة الى الاسلام مايشمل الدعوة الى أصل الدين والدعوة الى فضائله وآدابه وأعماله التي تودي الى سعادة الدارين ويدخل في هذا النهي عن المنكرات والفواحش . وان فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم دعائم الديانة الاسلامية وسنفرد لها مقالات خاصة إن شاء الله تعالى

من قرأ التاريخ الحديث علم أن المسلمين الضاربين في أحشاء افريقية ويعدون بعشرات الملايين ما تناولوا الدين الاسلامي بدعوة من العلماء والخطباء ولا اعتنقوه بإلزام من الملوك والامراء وانما دخل بلادهم بعض التجار والمحترفين من نحو مزين وحجام فرأوا منهم ثيابا وأبدانا نظيفة ، ونفوسا عفيفة ، وسجايا شريفة ، واعتقادات معقولة ، وفعالا جميلة ، فقلدوهم مختارين ، ودخلوا في دينهم طائعين ،

من وقف على هذا وعلى الأسباب الصحيحة لانتشار الدين الاسلامي في كل قطر وكل عصر من العصور تجلى له أن هذا الدين لو وجد له دعاة كدعاة الاديان الأخرى لما بقي للوثنية هيكل يقصد ، ولا صنم يعبد ، ولظل الناس يدخلون فيه أفواجا من جميع الملل حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله . ولكن أهله لم يكتفوا بعدم الدعوة اليه بل أوقفوا سيره باقوالهم وأعمالهم المخالفة لهديه . فاذا وفق الله المسلمين للاستعداد للدعوة كما تستعد الدعاة من الملل الأخرى وطافوا بلاد الله مبشرين ومنذرين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر كما أمرهم الكتاب العزيز — رأيت للاسلام شأنا عظيما وانتشارا عميما . ان وجود الجمعية التي تتكلم عنها يكون عونا عظيما للوصول الى هذه الرغبة ولكن لا يتوقف عليها الا في كماله

اهم نتائج أعمال الجمعية

اذا تحققت الآمال ، ونجحت هذه الاعمال ، فلا ريب ان الحكومات الاسلامية يتقرب بعضها من بعض وتظهر فيهم الاخوة الاسلامية ويتحدون على صد هجمات أوربا عنهم وايقاف مطامعها عند حدود معينة ولا يمنع اختلاف المذاهب من ذلك بعد ما قررناه ولا يصعب على السلطان الاعظم أن يأذن للشيعة باقامة أمام لهم في مكة المكرمة اذا توقف الاتحاد والالتئام على ذلك . ولقد كان للعثمانيين في ذلك من الاباء المنبعث عن تعصب بعض شيوخ الاسلام وجهله بسياسة الملة ما رمى هاتين الدولتين الاسلاميتين «العثمانية والايرانية» بالانفصام والافتراق ، بعد وشك الاعتصام والالتصاق ، أما حرص كل ملك وأمير على كمال الاستقلال في بلاده وامتناعه من الاعتراف للآخر بالرئاسة الدينية فهو من عقبات الاصلاح المطلوب ولكن الشعور العام بالخطر الذي يتهدد الجميع بالافتراق مع الأمن من مس الاستقلال الاداري والسياسي يسهل على الجميع اسناد الرياسة الدينية لارفعهم مكانة وأعلاهم منزلة واقواهم دولة . وغاية هذا الاتحاد أن تكون هذه الدول كالدول المتحالفة بالنسبة للامور الخارجية وكالولايات المتحدة في الاصلاحات الداخلية كالتربية

والتعليم ووحدة الاحكام والآداب واللغة ولو لم يتم ذلك الا في زمن طويل وان لايكون لاحدمنهم سيطرة في ملك الآخر أو امارته بل تسير كل مملكة وكل امارة في إدارة بلادها بارشاد مجلس الشورى الذي ينتخبون أعضاءه من عقلاء بلادهم .

هذه اشارات مجملة في هذا المقام سنحت للخاطر ومتى وفق الله للعمل تنحل بأيدي القائمين به عقد كل إشكال ، وصحة القصد تهدي كل ذي ضلال "

لاسلامة للجمعية الكبرى الا بسلامة البلاد الحجازية واغنائها عن الاجانب فيما تتوقف عليه حياة أهلها وقد قلنا في مقالة سابقة ان معظم قوت تلك البلاد يجلب اليها من موانى البحر الاحمر فاذا نشبت لمثل انكلترا الاستبداد فيه وحصر موانيه فان أهل الحجاز يموتون جوعا . فيجب على الدولة العلية على كل حال « وإن ذكرناه بمناسبة الجمعية التي اقترحناها » العناية الكبرى في عمارة تلك البلاد أولا بانشاء طريق حديدي من دمشق الشام الى مكة والمدينة والطائف وثانيا بتسهيل السبل لإحياء مافيها من الاراضي الموات الصالحة للزراعة والانتفاع بالينابيع التي تفور في مكان وتغور في آخر ولا ينتفع فيها بري الارض وغرسها

هذه هي خدمة الحرمين الشريفين لاتوزيع الصدقات على طوائف وقبائل مخصوصة فان قامت بها الخلافة الاسلامية والدولة العلية فان الاسلام يشكرها على ذلك بلسان كل آخذ به والا فان ركنا من أركان الدين على خطر الوقوع تحت سلطة الاجانب أو محوه وإعدامه بالمرة (لاقدر الله تعالى) ونسأل الله تعالى وهو أكرم مسئول ان يؤيد خليفتنا ومليكنا ويوفق أمتنا الى كل مافيه خير للملة وسعادة لأبنائها وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير

« وردت الرسالة الآتية لجريدة المؤيد الغراء فأوردناها بحروفها وذيلناها بما عندنا من الجواب على السؤال الذي بنيت عليه » وهي